مجلـــة بـدايـــات
Email :bidayat@lagh-univ.dz Revue :Bidayate ISSN: 2676-198X
المجلد:الثاني(02) / العدد: الرابع(04) جوان 2021/ ص ص: 185-206

الفضاء (الزمان والمكان) الإسلامي المقدس في رحلـة محمد ابن بطـوطة

Space (time and place) Islamic sacred On the journey of Muhammad Ibn Battouta

د/ جلول دواجي عبد القادر.

Dawaji Abdelkader[1]

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف–

dawajiaek@gmail.com

هاتف: 0541889633

تاريخ الإرسال: 05-03-2021	تاريخ التحكيم: 28-04-2021	تاريخ القبول: 19-05-2021	تاريخ النشر: 21-06-2021

ملخص البحث

الرحلة فن من فنون القول الأدبي يتضمن الحديث في مختلف مظاهر الحياة، فعند الاطلاع على كتب الرحالين العرب يتبدى اجتماع فنون وعلوم عديدة في هذا الفن الرحلي من القول، كالتاريخ والجغرافيا والأنثربولوجيا والأدب والاقتصاد والدين والفقه والميثولوجيا.....، فالرحلة سجل ثري لهذه العلوم ومنبع خصب لمختلف مظاهر الحياة، فالرحالة يسمع ويشاهد ويحفظ ويختبر ويحاور ويفكر ويَسأل ويجيب ويُسأل ويجاب ويعطي ويُجازَى وأيضا يكتب ويسجل ويوثق كل ذلك في رحلته، ومن عنده نستلهم المعرفة والحقيقة، وهذا ما سنتحدث عنه في رحلة "محمد ابن بطوطة" وخصوصا في توصيفه للفضاء الاسلامي المقدس ونقصد بالفضاء هنا بمعناه الواسع أي المكان والزمان.

الكلمات المفتاحية: الرحلة– الفضاء الاسلامي– التوصيف– الزمان – المكان– ابن بطوطة.

Abstract:

The journey is an art of literary saying that includes talk in various aspects of life. When looking at the books of Arab travelers, the meeting of many arts and sciences in this nomadic art appears from saying, such as history, geography, anthropology, literature, economics, religion, jurisprudence and mythology ....., the journey is a rich record. These sciences are a fertile source for the various aspects of life. The traveler hears, watches, memorizes, experiences, debates, thinks, asks, answers, asks, answers, gives and rewards, and also writes, records and documents all of this in his journey, and from him we draw inspiration from knowledge and truth, and this is what we will talk about in the journey of "Muhammad Ibn Battuta", especially in his description For the sacred Islamic space, and we mean space here in a broad sense, meaning space and time.

Key words: journey - Islamic space - description - time - place - Ibn Battouta**.**

تمهيد:

"الإنسان رحالة بطبعه"، فمنذ أن خلق الله البشر أودع فيهم غريزة حب التنقل والسفر والترحال، والإنسان قبل يولد يقوم برحلة تطور وتغير وانتقال من حال إلى حال: من نطفة إلى علقة فمضغة فكائن بشري، ثم يولد هذا الكائن البشري ويقوم برحلات عديدة حقيقية أو معنوية أو روحية طلبا للعيش الكريم أو العلم أو الدين أو المال أو الأمن أو حب الاكتشاف أو العمل.....الخ، ثم تنتهي به الرحلة إلى رحلة أخرى، من الحياة الدنيا إلى حياة الآخرة، ومن ثمة بداية رحلة أبدية ولا رحيل بعدها يومئذ. ولعل أول رحلة في الوجود رحلة هبوط أبينا آدم من الجنة إلى الأرض، ورحلة سيدنا موسى من بلاد فرعون إلى مدين ثم العودة، ورحلة الرسول عليه الصلاة والسلام من مكة إلى المدينة ثم العودة إلى مكة للحج، ورحلة المسلمين السباقين للإسلام من مكة إلى الحبشة بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورحلات الفتوحات والمغازي .....وتوالت الرحلات ولا زالت وستستمر.

ومن هذا المبتدأ تستعرض ورقتنا البحثية هذه عن رحلة حقيقية طويلة قام بها الرحالة المغربي أمير الرحالين كما يصفه الغرب، مجيبة عن التساؤلات الآتية: ما هي الفضاءات المكانية والزمانية التي أبدع ابن بطوطة في توصيفها؟ وما هي مواصفات الفضاءات الإسلامية المقدسة في رحلة ابن بطوطة؟ وهل لهذا التوصيف من جماليات فنية؟ وللتوضيح فالمقصود بالفضاء ليس الحيز أو المكان فحسب بل الفضاء بمفهومه الواسع المكان والزمان.

فاستعمال مصطلح الفضاء للتعبير عن المكان عند البعض يظل قاصرا بينما يعتبر الفضاء أعظم من المكان، ويحدده عبد المالك مرتاض بمصطلح الحيز، بحيث يصبح المكان في نظره قاصرا كما ذكرنا أمام اصطلاحات أوسع من الحيز والفضاء "بمعنى هو كل ما على حيز جغرافي حقيقي من حيث نطاق الحيز في حد ذاته على كل فضاء جغرافي أو أسطوري، أو كل ما نبذ عن المكان المحسوس كالخطوط والأبعاد والأجسام والأثقال والأشياء المحمية مثل الأشجار وما تحتوي هذه المظاهر الحيوية من حركة أو تعبير وغير ذلك من التسميات التي أطلقت على المكان"[1].

1- الرحلة وأدب الرحلة: المفهوم والماهية: الرحلة لغة: جاء في معجم (لسان العرب) لابن منظور قوله: "الرَّحْل: مَرْكَبٌ للبعير والناقة وجمعه أَرْحُلٌ و رحالٌ .... وانتهينا إلى رِحَالِنا أَي منازلنا، والرَّحْل: مسكن الرجل وما يصحبه من الأَثاث، وفي الحديث : إِذا ابْتَلَّت النِّعال فالصلاة في الرِّحال أَي صَلُّوا رُكْباناً ..... وقال ابن الأَثير: فالصلاة في الرِّحالِ يعني الدُّور والمساكن والمنازل وهي جمع رَحْل .... قال ابن سيده: والرِّحالة في أَشْعار العرب السَّرْجُ ...والجمع الرَّحائل .... ابن سيده: ورَحَل البعير يَرْحَلُه رَحْلاً فهو مرحول ورَحِيل وارْتَحَلَه: جعل عليه الرَّحْل ورَحَله رَحَلةً: شدَّ عليه أَداته... وفي الحديث: أَن النبي سجد فرَكِبه الحسن فأَبطأَ في سجوده فلما فرغ سئل عنه فقال: إِن ابني ارْتَحَلني فكرهت أَن أُعْجِله أَي جَعَلني كالراحلة فرَكِب على ظهري ..... يقال: رَحَل الرجلُ إِذا سار و أَرحلته أَنا، ورجل رَحول وقوم رُحَّل أَي يرتحلون كثيراً، ورَجُل رَحَّال: عالم بذلك مُجِيدٌ له ..... والتَّرحُّل والارتحال: الانتقال وهو الرِّحْلة والرُّحْلة، والرِّحْلة: اسم للارتحال للمَسير، يقال: دَنَتْ رِحْلَتُنا، ورَحَلَ فلان وارتحل وتَرَحَّل بمعنى[2].

أما اصطلاحا فيقول ابن خلدون في تعريفه للرحلة: "الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلونه به من المذاهب والفضائل: تارة علماً وتعليماً وإلقاءً، وتارة محاكاة

وتلقيناً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ، يفيده تمييز الاصطلاحات، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم، وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[3].

ومن هنا فالرحلة فن "من فنون الأدب العربي العريقة، فقد بدأ التأليف عنها عند العرب المسلمين الأوائل منذ القرن الثالث للهجرة – التاسع للميلاد – ولكنّهم لم يدوّنوا أخبار رحلاتهم في مؤلفات قائمة بذاتها إلاّ نادرا، أمّا معظمهم فقد أدمج حديث وأخبار تلك الرحلات فيما ألفوه من كتب التاريخ أو تقويم البلدان"[4].

ومن هنا فالرحلة "تمثل في الأدب العربي منزلة رفيعة، وأصبحت من الفنون الشائعة في معظم بلدان العالم"[5].

ويقول حسني محمود حسين بقوله: "إنها فن من فنون القول العربي يعرض في مضمونه إلى ناحية أو إلى ناحية أخرى من نواحي الحياة... يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد... فالرحلات منابع ثرة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصر"[6].

ونبه القرآن الكريم على أهمية الرحلة لما لها من فوائد جمة على الفرد والمجتمع والدين فقال: **"لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"**[7]، وكثيرا ما يتردد في القرآن تركيب **"سيروا في الأرض" و"أفلم يسيروا في الارض" و"أولم يسيروا في الارض"**، ويقول في سورة الملك: **"هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها"**[8]، ولأهميتها في نشر الدين ونصرته أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحلة من مكة مكان الإيذاء إلى المدينة مقام الدعوة والأمن والأمان، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين الأوائل بالرحلة إلى الحبشة هربا من بطش المشركين وطلبا للأمن لأنه كان بها ملك لا يظلم عنده أحد.

ويوصينا الرسول عليه الصلاة والسلام بالسياحة والسفر لفوائدهما الكثيرة والجمة فمثلا يقول عليه الصلاة والسلام: "سافروا تصِحُّوا"[9].

وذكر الإمام الشافعي ما يجنيه الرحالة من رحلاته فقال:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ فِيْ طَلَبِ العُلَى ... وسافِرْ ففي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ
تَفَرُّجُ هَـمٍّ، واكتِسَابُ مَعِيْشَـةٍ ... وَعِلْمٌ ، وآدابٌ، وصُحْبَـةُ مَاجِدِ
فإن قيلَ في الأَسفارِ ذُلٌّ ومِحْنَةٌ ... وَقَطْعُ الفيافي وارتكاب الشَّدائِدِ
فَمَوْتُ الفتى خيْرٌ له مِنْ قِيامِهِ ... بِدَارِ هَـوَانٍ بين واشٍ وَحَاسِـدِ[10]

وتبدو عناية ديننا الحنيف بالرحلة من خلال وجود ذكرها لفظا أو معنى مرات عديدة في القرآن الكريم والحديث الشريف[11].

وأصبح الارتحال في القرون التالية للإسلام ضرورة لازمة، كالذي رواه البخاري (ت 256هـ) من أن جابر بن عبد الله، رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس في طلب حديث واحد، والبخاري نفسه كان مثالا رائدا للعلماء الرحالة، ولم يقتصر الأمر على هذين المحَدِّثَيْنِ، بل إن كثيراً منهم كان يقطع الفيافي والصحاري جرياً وراء تصحيح حديث أو معرفة سنده أو بحثا عن حفاظة للعلم. ذلك أن الصحابة العلماء تفرقوا في الأمصار وأنشأوا حركة علمية في كل مصر وكَوَّنُوا مدارس، فتوافد عليهم طالبة العلم يأخذون عنهم.

وبدأ التأليف للخطاب الرحلي "في القرن الخامس للهجرة الموافق للحادي عشر للميلاد حيث دوّن كثير من الرحالة المسلمين أخبار أسفارهم وتنقلاتهم، فذكروا المدن التي زاروها، والمسافات التي اجتازوها والصعوبات التي تغلبوا عليها، ووصفوا البلاد وقيّدوا مشاهداتهم عن صناعتها وتجارتها، كما أتوا على وصف حياة السكان"[12].

إن الرحلات تزخر بالعديد من المعارف المتنوعة، منها ما هو ديني، أو تاريخي، أو جغرافي، أدبي، أو اجتماعي... وغير ذلك، مما يجعل هذه الرحلة مقصدا للعديد من الباحثين على اختلاف مشاربهم؛ من أجل الاستفادة من المعارف التي تهمهم.

والرحالة وهو يقدم هذه المعارف إنما يسعى لإفادة القارئ بما يظنه مفيدا له، وهذه المعرفة التي يقدمها الرحالة تخضع لشخصيته وتكوينه الثقافي.

وعن أهمية الرحلة يقول عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته: "الرحلة لابد منها في طلب العلم ولاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[13]

واشتهر من الرحالين في العالم أشهرهم الرحالة هنري الملاح وبارتولو ميودياز وفاسكو دي قاما ومجِلاَّن وكريسوف كولومبوس وابن بطوطة الطنجي والعبدري وابن جبير الأندلسي والتيجاني والحجوي والغساني والمكناسي والغزال والشريف الإدريسي وأحمد ابن فضلان البغدادي وأحمد ابن ماجد النجدي وليون الإفريقي أو الحسن الوزان.....الخ

والرحلة سبب ظهور ما يسمى بأدب الرحلات، فأدب الرحلات هو "ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفا له، يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق وجمال الأسلوب والقدرة على التعبير"[14].

وجاء في (معجم المصطلحات الأدبية) في تعريف أدب الرحلة أنه "مجموعة الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد"[15].

وعليه فأدب الرحلات "هو نوع أدبي يقوم على وصف الأديب لما شاهده في رحلاته من عمران، وأحداث وأشخاص وعادات وتقاليد وغيرها"[16].

لقد استطاع أدب الرحلة فرض وجوده الأدبي، وتمكن من اكتساب هويته الخاصة التي منحته موقعا معترفا به ضمن الأجناس الأدبية الأخرى، إلى درجة أصبح معها انتماء الرحلة إلى حقل الأدب مسلّمة ثابتة لا تحتاج إلى دليل. فبالرغم من ارتباط هذا النوع الأدبي بالأدب الجغرافي وبالكتابة التوثيقية التسجيلية فقد أثبت أنه خلق أدبي يزحف إلى كل المجالات، ويسير في كل الاتجاهات، وينفتح على كل الخطابات، ويذيب الحدود مع الفنون الأخرى.

لقد أدى الرحالة العرب مهمة سامية للأجيال التي لحقتهم، إذ أسهمت كتاباتهم لأدب الرحلات في نقل كثير من الصور الجميلة والمشاهد المميزة لتلك البلاد وطبيعتها الجغرافية، وظروفها المعيشية وألقوا الضوء على تاريخ هذه البلاد وأفكار سكانها وعادات وتقاليد قد تختلف وقد تتفق مع عادات البلاد التي جاء منها هؤلاء الرحالة، فأسهموا بذلك في نقل بعض ثقافات الشعوب الأخرى، وإثارة الاهتمام بها وتشجيع المهتمين من العلماء وطلبة العلم على زيارة تلك البلاد للنهل من معارفها وعلومها.

1- محمد بن بطوطة: قراءة في سيرته ورحلته[17]:

هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف[18] **اللواتي**[19] **الطنجي**[20] المغربي المعروف والملقّب **بابن بطّوطة**[21] بالتضعيف أي تشديد الطاء على حسب ما أكده المستشرق فيشر **Ficsher**، ولد ابن بطوطة سنة 703هـ/1303م، وقيل 1304م[22]، ونشا في كنف أسرة علميه ظهر فيها القضاة والشيوخ بغض النظر عن والده الذي كان فقيها وابن عمّه الفقيه أبو القاسم محمد بن يحيى ابن بطوطة قاضي حصن رندة الواقع بين اشبيلية وملقة من أرض الأندلس.

فعلى الرغم من كثرة البحوث والدراسات التي كتبت وصنفت حول ابن بطوطة إلا أنّ أحدا منها لم يتطرّق إلى ذكر ترجمة وافية لسيرته قبل بدء رحلاته ولا سيما فيما يتعلق منها بنشأته وطفولته أو بشبابه وأخلاقه، ولذلك فإن كثيراً من المعلومات عن هذه الجوانب موجودة ومرصودة في رحلاته، فقد تلقى تعليمه الأول وحتى بدء رحلاته في الكتاتيب والمدارس الدينية على عادة كل المتعلمين في البيئة المغاربية، وكانت أسرته تعده لمنصب القضاء جريا على تقاليد العائلة إلا أن القدر كان يرسم له غير ذلك المستقبل.

ولما بلغ الحادية والعشرين من عمره وتكشفت له طبيعته عن حب لا يقاوم للسفر والترحال عزم على الرحلة إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، كان الحج من مدينة في أقصى الغرب كطنجة في ذلك الوقت مخاطرة حافلة بالمشاق والمغامرات غير أنى هذه المشاق كانت عند ابن بطوطة حافزا قويا للترحال تحدوه سير كبار الرحالة العرب الذين سبقوه أو لازموه عصره.

ترك أهله ووالديه اللذين كانا على قيد الحياة وهو بعمر واحد وعشرين عاما فكان تكوينه وتعليمه الأولي دينيا بحتا، ورضع وتشبع من حليب الثقافة العربية الإسلامية فكان محافظاً على أداء الشعائر الدينية واثقاً بالعناية الإلهية ، فضلا عن تقربه من العلماء والشيوخ، وقد أوضح ذلك الشيخ ابن مرزوق (ت781هـ) بقوله: "**كان جواداً حسناً**"[23]، وكان ابن بطوطة يجيد عدة لغات منها اللغة التركية والفارسية وسماه الغرب بأمير الرحالين المسلمين[24].

كان قرار الارتحال هذا شاقا على أهله كما كان شاقا على نفسه، فقد كان ابن بطوطة يعيش بين أهله وذويه في بسطة من العيش، حياة مستقرة مطمئنة، وكان هو بصفة خاصة يتميز برقة العاطفة والتقوى والتعلق بالوالدين، وفي هذا يقول: "فحزمت أمري على هجر الأحباب من الإناث والذكور وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا كما لقيا من الفراق نصبا، وسني يومئذ اثنتان وعشرون سنة"[25].

بدأ ابن بطوطة رحلته من مدينته طنجة سنة (725هـ - 1325م) متوجهاً لمكة لأداء فريضة الحج في رحلة قد تستغرق ستة عشر شهرا أو أقل لكن شاء له القدر أن لم ير بعدها المغرب لمدة أربعة وعشرين عاماً.

قطع ابن بطوطة الساحل الإفريقي عبر تلمسان وبجاية وتونس، وتزوج زوجته الأولى من مدينة صفاقس[26]، ووصل ابن بطوطة لمصر فزار الإسكندرية والقاهرة وبعض مدن وادي النيل[27]. إلى أن وصل القدس الشريف فذكر مسجدها وبعض مشاهدها المباركة فيها وتحدث عن فضلائها[28].

وواصل ابن بطوطة مسيرته حتى وصل لدمشق؛ حيث قابل الشيخ أبو الحسن الشاذلي الذي نصحه بأخذ طريق الشام وهو طريق آمن للوصول لمكة، ووصل ابن بطوطة للمدينة المنورة [29]، ومنها لمكة حيث أدى فريضة الحج لأول مرة[30].

عام 1326م، انضم لقافلة الحجاج العائدين للعراق، ووصل إلى مدينة النجف؛ حيث زار ضريح الإمام علي بن أبي طالب، ثم نزل ابن بطوطة ضيفًا على حاكم الموصل، وتوجه ابن بطوطة شرقًا لبلاد فارس فوصل لمدينة شيزار وهي من المدن القليلة الناجية من بطش التتار المغول وظلت مزدهرة كما وصفها ابن بطوطة[31].

عاد ابن بطوطة لبغداد ثم الموصل وقبلهما الكوفة، ليصل مكة المكرمة منهكًا جدًّا نتيجة مرض أصابه، وظل هناك لثلاث سنوات؛ حيث حج للمرة الثانية وزار منطقة جدة وعددًا من مدن اليمن[32].

ركب ابن بطوطة سفينة من ميناء عدن إلى الصومال، حتى وصل مقديشيو[33]، وبعدها لمدينة كيلوا المدينة التي أبهرت ابن بطوطة بجمالها ومكارم حاكمها وكثرة مساجدها والتابعة لتنزانيا[34].

قرر ابن بطوطة في عام 1330م العمل مع سلطان دلهي المسلم؛ محمد بن توغلوك؛ حيث كان في حاجة إلى دليل ومترجم يرافقه إلى رحلته نحو الأرض التي يسيطر عليها السلاجقة في الأناضول للانضمام إلى القوافل التي ذهبت من هناك إلى الهند[35]، وهنا أخذ ابن بطوطة طريق عودته في رحلته هي الأولى له خارج حدود العالم الإسلامي.

وصل ابن بطوطة لبلاد الهند عام 734هـ، ووصف نهر السند ومدينة دلهي وذكر تاريخها وسورها وأبوابها وجامعها ومزاراتها وعلماءها وصلحاءها[36]، وذهب ابن بطوطة لجزر المالديف، وقضى تسعة أشهر على أرض الجزيرة وباعتباره القاضي الرئيس فقد كانت مهاراته مرغوبة للغاية في البلاد البوذية التي تحولت إلى الإسلام مؤخرًا, فأصبح هو القاضي وتزوج من إحدى بنات العائلة المالكة[37].

حين وصل ابن بطوطة إلى الصين عام ١٣٤٥م، واتجه إلى الشمال؛ حيث مدينة هانغشتو التي وصفها بأنها واحدة من أكبر المدن التي رآها في حياته؛ حيث أشار إلى سحرها واصفًا إياها بالمدينة التي تجلس على البحيرة الجميلة والمحاطة بالتلال الخضراء، وخلال فترة إقامته في مدينة هانغشتو أُعجب جدًا بالأعداد الكبيرة من السفن الصينية الخشبية التي صُنعت وزُخرفت بعناية؛ بأشرعتها الحريرية والمظلات الملونة مجتمعةً في القنوات البحرية[38]، وانتقل ابن بطوطة بعدها إلى جزيرة سومطرة باندونيسيا[39].

وعاد أدراجه إلى الصين ومن ثم إلى الهند بعدما وقع الخلاف وتسعرت الفتن[40]، ثم باتجاه العراق فمصر فتونس[41] ثم في البحر إلى جزيرة سردانية من جزر الروم، ثم تنس ثم إلى مازونة ثم إلى مستغانم ثم إلى تلمسان فمدينة تازى وفيها عرف موت والدته بالوباء ثم مدينة فاس، فوصل يوم الجمعة في أواخر شهر شعبان عام 570هـ ومثل بين يدي السلطان أبي عنان[42].

أبهر ابن بطوطة سلطان المغرب ابن عنان برحلته، وأعجب هذا الأخير بأوصاف البلاد التي قصها عليه ابن بطوطة وأمره بأن يلزم فاس ويضع هذه المغامرات والأحاديث والقصص في كتاب، بمساعدة كاتب طموح هو ابن جزي, ألف ابن بطوطة كتابه الشهير "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" حيث قال: "وهاهنا انتهت الرحلة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبعمائة"[43].

بعد الفراغ ابن بطوطة من تقييد رحلته الذي تقدم في السن, بأي رحلة مطولة لا إلى الصحاري ولا غيرها. بل أخذ يعمل في القضاء ويواصل نشر ما اكتسبه من حكمة خلال أسفاره، ورغم عدم توفر معلومات كافية عن السنوات الأخيرة من عمره, إلا أننا نعرف أنه توفي عن عمر 65 عاماً. وبعد سنين طويلة من وفاته ظل ابن بطوطة صاحب أطول رحلة في العالم.

يعود الفضل في إنْجاز رحلة ابن بطوطة إلى أربعة أشخاص[44]:

1- السلطان أبو عنان: وهو الذي أصدر الأمر بانْتساخ الرحلة، وجَعْلِها في متناول القُرّاء، فكانت بذلك حَافزًا لتخْليد اسمه بالرغم من أنّ مدة حُكمه لم تتجاوز عشر سنوات، فكما ذكرنا من قبل فالسلطان أُعْجِب بالرحلة وتَنبَّه لقيمتها الحَضارية، وما تَحْمله من معلومات عن الحضارات الأخرى التي زارها الرّحَّالة. فأَمْر أبي عنان لابن جزي بتدوين هذه الرحلة لم يحصل إلا رغبة منه في أن تعم فائدتها ويُسْتَفَادَ مما تحتويه من معلومات، وحتى لا تتعرض للنسيان.

2- ابن وُدْرَار: هو أبو فارس ابن ميمون ابن وُدْرار الحَشمي، قائد لدى السلطان أبي عنان. وهو الذي استأنس بابن بَطوطة، وأعْجِب بأخباره، ودافع عنه في كثير من المجالس.

3- ابن جزي: هو أبُو عبد الله مَحمّد بن أبي القَاسم مُحمّد بن أحْمد بن جُزي المولود في غَرناطة سنة 721/ 1321م؛ وقد التَحق بالمغرب فارّا من العقاب، كان من أفضل الكُتّاب في مجْلس أبي عنان، وصَاحِب الخَطّ الرّفيع البَديع، لذلك أمره السُّلطان باسْتنساخ رحلة ابن بَطوطة فامْتثل أمْره. وأسْلوبُه في الكتابة يَغلب عليْه الطّابَع الأدبي، ويَتأثر بأسْلوب ابن جُبَير[45].

4- ابن بطوطة: وهو الشخصية الرئيسة في هذه الرحلة، إذ هو الذي طاف الأرجاء من مشرق الشمس إلى مغربها، واسْتطاع التعرف على حَضارات إنسانية مُختلفة. فأطْلعَنا على معلومات قَيّمَة عن البُلدان وأهَاليها، وعن عَاداتهم وتاريخهم وثقافاتهم، وزَار بُلداناً لم يَصِلها رحّالةٌ مُسلم من قبل. فكان بذلك خيطا واصلا بين الحضارة المغربية والإسلامية وباقي الحضارات. هذا جَعلنا "أمام رجُل حَضاري يَعْرف قِيَم الحَضارة المادية والمعنوية ويَزِنُها وزْنها الصّحيح"[46]. ومع ذلك كله، فقد تعرّضت هذه الشخصية للإهمال منْ طرف المترجمين رغم معاصرته لابن الخطيب. أما حياته بعد الرحلة، فلا نعرف عنها شيئا سوى أنّه يُزاول القضاء بإقليم تامسنا. ويورد ابن الخطيب في ذلك مَعلومة عن مُراسَلته له في نُفاضة الجراب "خاطبْت القاضي ابن بطوطة بتامسنا، وقد عَزمت على إثارة الأرض بجواره. لتَعْلم سيادة القاضي شمس الدين، معلم المواقف الحبسية والميادين... "[47].

استغرقت رحلة ابن بطوطة سبعا وعشرين سنة أي من عام 1325م إلى غاية 1377م، ومات في مراكش سنة 779هـ الموافق لـ 1377م[48].

تعرّضت رحلة ابن بطوطة للتّشكيك والإنكار، واتُّهِم صاحبها باخْتلاق التّفاصيل والمبالغة. ومما جعل الرحلة تتعرض للشك كونها أولا، تَتّسم بالمبالغة والتّضْخيم في ذكر الأولياء الصّالحين وكراماتهم، وفي ذكر الأخبار المتعلقة بالسّحر والشّعْوذة، ثم ثانيا، إن قارئَ الرّحْلة يجد ثغَرات كثيرة نتج عنها انقطاع خط السير[49]، وسَببُ هذا الاضْطراب الحَاصلِ في أجزاء

الرّحلة اعْتماد صاحبها على الذّاكرة في قَصّ أحداث تبتدئ منذ حوالي ثلاثين سنة، في مناطق شاسعة، وأقوام متعددين وألسنة متعددة. ونظرا لقيمة الرحلة فقد ترجمت إلى عدة لغات منها: الانكليزية والفرنسية والبرتغالية وبعض فصولها إلى اللغة الألمانية[50].

وممّا يُزَكّي قوْلَ ابن بطوطة وينفي عَنه تُهَم الاخْتلاق و الكذب، أولا، اتّفاق مُلاحظاته ورواياته مع مَن زار تلك المناطق البعيدة كالهند والصّين، منهم ابْن فضْلان والرحالة البندقي ماركوبولو، ثانيا، تَأكيد صِحَّة حكاياته ورواياته من طرف الباحثين في عصرنا، بعد تصَدِّيهم لمواكبة الرّحالة وتَتبع آثاره في المناطق التي زَارها[51].

3- ابن بطوطة وتوصيف الفضاء الإسلامي المقدس:

إن الوصف في أدب الرحلة يعد عاملا أساسيا من خلاله يمكن التعرف على الظواهر النفسية والاجتماعية والثقافية والتاريخية والجغرافية للرحلة، وهو ما يصطلح عليه في العلوم المعاصرة الهامة في عصرنا علم الأنثروبولوجيا، أو علم الإنسان حيث التعرف على الإنسان وحياته ومعيشته وكيفية تفكيره وعاداته وتقاليده وثقافته .....الخ، وقد كان الوصف أهم سمة مميزة لرحلة ابن بطوطة، اتسم وصفه بالدقة والحديث عن زمن الزيارة أو المسافات أو عن المكان والبيئات التي زارها، وهو ما اصطلحنا عليه في البداية بالفضاء أي الزمان والمكان.

أولاً – ابن بطوطة وتوصيف المكان الإسلامي المقدس: اهتم ابن بطوطة بالحضارة الإسْلامية على شساعتها وتعَدّد مظاهرها، وقد اهتم داخل الحَضارة الإسلامية، بما أنتجته تلك الثقافات المتعددة من علوم وقوانين وملابس وأطعمة وعِمَارة إسلامية أصيلة، ومن الأماكن المقدسة التي قام ابن بطوطة بتوصيفها والتي لها آصرة بالثقافة الإسلامية ويبجلها المسلم حيثما كان نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- القدس: ترتدي صورة القدس وعلماؤها في رحلة ابن بطوطة أهمية كبرى لأنهما تعكسان الوضع النهائي الذي استقرت عليه المدينة المقدسة بعد أن وضعت الحروب الصليبية أوزارها، وقبل أن يبسط العثمانيون بسلطانهم على العالم العربي.

لما وصل ابن بطوطة بيت المقدس الذي شرفه الله بأنه (ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل، ومصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ومعرجه إلى السماء) فلاحظ أن البلدة كبيرة منحوتة في الصخر، ثم نوه بأن صلاح الدين الأيوبي كان قد بادر إلى هدم جزء من سورها بعد أن فتحها، ثم خشي الملك الظاهر أن يعاود الفرنجة الكرة فيستولون عليها ويتمنعون بها فأمر بهدم السور كله. ولما كانت القدس تفتقر إلى الأنهار فقد بادر سيف الدين تنكيز أمير دمشق بجلب الماء لها.

يقول ابن بطوطة: "ثم وصلنا إلى بيت المقدس شرفه الله، ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل، ومصعد رسول الله عليه وسلم تسليماً، ومعرجه إلى السماء. والبلدة الكبيرة مبنية بالصخر المنحوت، وكان الملك الصالح الفاضل صلاح الدين بن أيوب جزاه الله عن الإسلام خيراً، لما فتح هذه المدينة هدم بعض سورها ثم استنقض الملك الظاهر هدمه خوفاً أن يقصدها الروم فيتمنعوا بها، ولم يكن بهذه المدينة نهر فيما تقدم وجلب لها الماء في هذا العهد الأمير سيف الدين تنكيز أمير دمشق"[52].

وعند وصفه للمسجد المقدس يقول: "هو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن، يقال: إنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وإن طوله من الشرق إلى الغرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعاً بالذراع المالكية[53]، وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً، وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث، وأما الجهة القبلية منه فلا أعلم بها إلا باباً واحداً، وهو

الذي يدخل منه الإمام، والمسجد كله فضاء وغير مسقف إلا المسجد الأقصى فهو مسقف في النهاية من إحكام الفعل وإتقان الصنعة مموه بالذهب والأصبغة الرائقة، وفي المسجد مواضع سواه مسقفة[54].

2- قبة الصخرة: يقول ابن بطوطة: "هي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً، قد توفَّر حظها من المحاسن، وأخذت من كل بديعة بطرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد، يصعد إليها في درج رخام. ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة، وكذلك داخلها في ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف. وأكثر ذلك مُغشّى بالذهب فهي تتلألأ أنوارا، أو تلمع لمعان البرق. يحار بصر متأملها في محاسنها، ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها. وفي وسط القبة الصخرةُ الكريمةُ التي جاء ذكرها في الآثار، فإن النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء وهي صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة مقدار بيت صغير. ارتفاعها نحو قامة أيضاً ينزل إليها على درج. وهنالك شكل محراب، وعلى الصخر شباكان اثنان محكما العمل، يغلقان عليهما أحدهما، وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة والثاني من خشب، وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هنالك، والناس يزعمون أنها درقة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه"[55].

فابن بطوطة دقيق الوصف للمسجد المقدس كما وصفه ولقبته التي تشكل جزءا منه وكأننا أمام عالم الآثار يفصل في الوصف حاسب للطول والعرض والارتفاع حسابا مضبوطا، وليس من رأى كمن سمع، ويؤكد ما للمكان من صلة بالمسلمين حيث معراج النبي عليه الصلاة والسلام من بيت المقدس إلى السماء في الواقعة المعروفة. بل يذكر حتى المواد المصنوعة منها الأشياء، كالحديد والخشب والذهب والزواق إلى درجة تعجز الواصف من شدة الجمال والغرابة والعجابة.

3- طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يقول ابن بطوطة: "دخلنا الحرم الشريف، وانتهينا إلى المسجد الكريم، فوقفنا بباب السلام مسَلّمين وصلينا بالروضة الكريمة بين القبر والمنبر الكريم، واستلمنا القطعة الباقية من الجذع الذي حن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي ملصقة بعمود قائم بين القبر والمنبر عن يمين مستقبِل القبلة، وأدينا حق السلام على سيد الأولين والآخرين وشفيع العصاة والمذنبين الرسول النبي الهاشمي الأبطحي محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً، وشرف وكرم وحُقَّ السلام على ضجيعيه وصاحبيه أبي بكر الصديق وأبي حفص عمر الفاروق رضي الله عنهما. وانصرفنا إلى رحلنا مسرورين بهذه النعمة العظمى، مستبشرين بنيل هذه المنة الكبرى، حامدين الله تعالى على البلوغ إلى معاهد رسوله الشريفة ومشاهده العظيمة المنيفة، داعين أن لا يجعل ذلك آخر عهدنا بها، وأن يجعلنا ممن قبلت زيارته، وكتبت في سبيل الله سفرته"[56].

يصف ابن بطوطة حالته الشعورية وهي في الحقيقة حال كل من يقف ذلك الموقف ويصل ذلك الموصل من عباد الله المسلمين لتعلقهم الشديد برسولهم الكريم ونبيهم الأعظم، وهو موقف يعجز في الواقف عن التعبير لفرط التأثر والتأثير.

4- المسجد النبوي وروضته الشريفة: يقول ابن بطوطة: "المسجد المعظم مستطيل، تحُفّه من جهاته الأربع بلاطات دائرة به، ووسطه صحن مفروش بالحصى والرمل، ويدور بالمسجد الشريف شارع مبلط بالحجر المنحوت. والروضة المقدسة صلوات الله وسلامه على ساكنها في الجهة القبلية مما يلي الشرق من المسجد الكريم، وشكلها عجيب لا يتأتى تمثيله. وهي منورة بالرخام البديع النحت الرائق النعت، قد علاها تضميخ المسك والطيب مع طول الأزمان، وفي الصفة القبلية منها مسمار فضة هو قبالة الوجه الكريم. وهنالك يقف الناس مستقبلين الوجه الكريم مستدبرين القبلة، فيسلمون وينصرفون يميناً إلى وجه أبي بكر الصديق،

ورأس أبي بكر رضي الله عنه عند قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ينصرفون إلى عمر بن الخطاب، ورأس عمر عند كتفي أبي بكر رضي الله عنهما، وفي جوفي الروضة المقدسة، زادها الله طيباً، حوض صغير مرخم وفي قبلته شكل محراب، يقال: إنه كان بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً، ويقال أيضاً: هو قبرها، والله أعلم"[57]. وأضاف يقص علينا قصة ابتداء بناء المسجد النبوي وهي مطابقة لما جاء في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي لأنه رضع حليب الثقافة الإسلامية وتشبع بها من الصغر، ذكر قصة بناء المنبر الكريم الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم[58].

لقد وقف ابن بطوطة كثيرًا عند مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوصف المسجد النبوي وخدَمه، وراح ينقل بعض حكايات الناس وقصصهم ومشاهيرهم ومغامراتهم في تلك المدينة العطرة، وهي مأثورات تصف لنا الجانب الإنساني والاجتماعي والثقافي والتاريخي في ذلك الفضاء المشرف، فضلاً عن ثقافة ذلك العصر.

5- مكة المعظمة: لما فرغت القافلة من قضاء زيارة الحرم النبوي الشريف، ومكثت زمنا ليس بالطويل في تلك المدينة العطرة التي أحسن ابن بطوطة وصف مشاهدها وعمرانها وبقاعها وشخوصها، انتقل إلى وصف الطريق من جديد بين مكة والمدينة، وهي طريق وعرة، شديدة الخطورة، حتى منّ الله عليهم بالوصول إلى مشارف مكة المشرفة.

يصف ابن بطوطة هذا المكان المقدس وصفا دقيقا قائلا: "هي مدينة كبيرة متصلة البنيان مستطيلة، في بطن وادٍ تحفُّ به الجبال، فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها، وتلك الجبال المطلة عليها ليست بمفرطة الشموخ، والأخشبان من جبالها هما جبل أبي قبيس وهو في جهة الجنوب والشرق منها، وجبل قعيقعان وهو في جهة الغرب منها، وفي الشمال منها الجبل الأحمر، ومن جهة أبي قبيس أجياد الأكبر وأجياد الأصغر وهما شعبان والخندمة، وهي جبل، وستذكر (والمناسك كلها: منى وعرفة والمزدلفة) بشرقي مكة شرفها الله، ولمكة من الأبواب ثلاثة: باب المعلى بأعلاها، وباب الشبيكة من أسفلها ويعرف أيضاً بباب العمرة وهو إلى جهة المغرب، وعليه طريق المدينة الشريفة ومصر والشام وجدة، ومنه يتوجه إلى التنعيم.....، وباب المسفل، وهو من جهة الجنوب، ومنه دخل خالد بن الوليد رضي الله عنه يوم فتح مكة شرفها الله، كما أخبر الله في كتابه العزيز حاكياً عن نبيه الخليل بوادٍ غير ذي زرع، ولكن سبقت لها الدعوة المباركة، فكل طرفة تجلب إليها وثمرات كل شيء تُجبى لها. ولقد أكلتُ بها من الفواكه العنب والتين والخوخ والرطب ما لا نظير له في الدنيا، وكذلك البطيخ المجلوب إليها لا يماثله سواه طيباً وحلاوة، واللحوم بها سمان لذيذات الطعوم، وكل ما يفترق في البلاد من السلع، فيها اجتماعه، وتجلب لها الفواكه والخضر من الطائف ووادي نخلة وبطن مر، لطفاً من الله بسكان حرمه الأمين ومجاوري بيته العتيق"[59].

وقبل هذا الوصف الدقيق لأقدس بقعة على الأرض يقول: "ومن عجائب صنع الله تعالى أنه طبع القلوب على النزوع إلى هذه المشاهد المنيفة والشوق إلى المثول بمعاهدها الشريفة، وجعل حبها متمكناً في القلوب، فلا يحلها أحد إلا أخذت بمجامع قلبه، ولا يفارقها إلا أسفاً لفراقها متولهاً لبعاده عنها، شديد الحنين إليها، ناوياً لتكرار الوفادة عليها، فأرضها المباركة نصب الأعين، ومحبتها حشو القلوب، حكمة من الله بالغة، وتصديقاً لدعوة خليله عليه السلام.

والشوق يحضرها وهي نائية ويمثلها وهي غائبة، ويهون على قاصدها ما يلقاه من المشاق ويعانيه من العناء، وكم من ضعيف يرى الموت عياناً دونها، ويشاهد التلف في طريقها، فإذا جمع الله بها شمله، تلقاها مسروراً مستبشراً كأنه لم يذق لها مرارة ولا كابد محنة ولا نصباً، إنه لأمر إلهي وصنع رباني ودلالة لا يشوبها لبس، ولا تغشاها شبهة، ولا يطرقها تمويه. وتعزُّ في بصيرة

المستبصرين، وتبدو في فكرة المتفكرين ، ومن رزقه الله تعالى الحلول بتلك الأرجاء، والمثول بذلك الفناء، فقد أنعم الله عليه النعمة الكبرى، وخوله خير الدارين: الدنيا والأخرى، فحق عليه أن يكثر الشكر على ما خوله، ويديم الحمد على ما أولاه. جعلنا الله تعالى ممن قبلت زيارته، وربحت في قصدها تجارته، وكتبت في سبيل الله آثاره، ومحيت بالقبول أوزاره، بمنه وكره"[60].

لقد كان ابن بطوطة دقيق الملاحظة لا يترك صغيرة ولا كبيرة ولا جزئية في هذا المقدس الحرام إلا ذكره وألهب في النفوس المتلقية لخطابه التوق والشوق إلى زيارة ما ذكره وما وصفه، خصوصا هذا الفضاء المقدس لدى المسلمين. والقاريء لرحلة ابن بطوطة يجد نفسه وكأنه أمام شريط فيديو يشاهد حقيقة ما يصفه ابن بطوطة بتقنية ثلاثية الأبعاد.

6- الكعبة المشرفة: "والكعبة مائلة في وسط المسجد، وهي بنية مربعة ارتفاعها في الهواء من الجهات الثلاث ثمانٍ وعشرون ذراعاً، ومن الجهة الرابعة التي بين الحجر الأسود والركن اليماني تسع وعشرون ذراعاً، وعرض صفحتها التي من الركن العراقي إلى الحجر الأسود أربعة وخمسون شبراً، وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن اليماني إلى الركن الشامي، وعرض صفحتها التي من الركن العراقي إلى الركن الشامي من داخل الحجر ثمانية وأربعون شبراً، وكذلك عرض الصفحة التي تقابلها من الركن الشامي إلى الركن العراقي، وأما خارج الحجر فإنه مائة وعشرون شبراً والطواف إنما هو خارج الحجر وبناؤها بالحجر الصم السمر، وقد ألصقت بأبدع الإلصاق وأحكمه وأشده، فلا تغيرها الأيام، ولا تؤثر فيها الأزمان وباب الكعبة المعظمة في الصفح الذي بين الحجر الأسود والركن العراقي، وبينه وبين الحجر الأسود عشرة أشبار، وذلك الموضع هو المسمى بالملتزم، حيث يستجاب الدعاء. وارتفاع الباب عن الأرض أحد عشر شبراً ونصف شبر وسعته ثمانية أشبار، وطوله ثلاثة عشر شبراً وعرض الحائط الذي ينطوي عليه خمسة أشبار، وهو مصفح بصفائح الفضة، بديع الصنعة وعضادتاه وعتبته العليا مصفحات بالفضة، وله نقارتان كبيرتان من فضة عليهما قفل، ويفتح الباب الكريم في كل يوم جمعة بعد الصلاة، ويفتح في يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم ورسمهم في فتحة أنم يضعوا كرسياً شبه المنبر، له درج وقوائم خشب، لها أربع بكرات يجري الكرسي عليها، ويلصقونه إلى جدار الكعبة الشريفة، فيكون درجه الأعلى متصلاً بالعتبة الكريمة، ثم يصعد كبير الشيبيين وبيده المفتاح الكريم ومعه السدنة، فيمسكون الستر المسبل على باب الكعبة المسمى بالبرقع، بخلال ما يفتح رئيسهم الباب، فإذا فتحه قبل العتبة الشريفة، ودخل البيت وحده، وسد الباب، وأقام قدر ما يركع ركعتين، ثم يدخل سائر الشيبيين، ويسدون الباب أيضاً ويركعون، ثم يفتح الباب، ويبادر الناس بالدخول، وفي أثناء ذلك يقفون مستقبلين الباب الكريم بأبصار خاشعة وقلوب ضارعة وأيدٍ مبسوطة إلى الله، فإذا فتح كبروا ونادوا: اللهم افتح لنا أبواب رحمتك ومغفرتك يا أرحم الراحمين وداخل الكعبة الشريفة مفروش بالرخام المجزع، وحيطانه كذلك وله أعمدة ثلاثة طوال مفرطة الطول من خشب الساج، بين كل عمود منها وبين الأخر أربع خطاً وهي متوسطة في الفضاء داخل الكعبة الشريفة، يقابل الأوسط منها نصف عرض الصفح الذي بين الركنين العراقي والشامي وستور الكعبة الشريفة من الحرير الأسود، مكتوب فيها بالأبيض، وهي تلألأ عليها نوراً وإشراقاً، وتكسو جميعها من الأعلى إلى الأرض. ومن عجائب الآيات في الكعبة الشريفة أن بابها يفتح، والحرم غاصٌّ بأمم لا يحصيها إلا الله الذي خلقهم ورزقهم، فيدخلونها أجمعين ولا تضيق عنهم، ومن عجائبها أنها لا تخلو عن طائف أبداً ليلاً ولا نهاراً، ولم يذكر أحد أنه رآها قط دون طائف. ومن عجائبها أن حمام مكة وسواه من الطير لا ينزل عليها ولا يعلوها في الطيران وتجد الحمام يطير على أعلى الحرم كله فإذا حاذى الكعبة الشريفة عرج

عنها إلى إحدى الجهات ولم يعلها ويقال لا ينزل عليها طائر إلا إذا كان به مرض فإما أن يموت لحينه أو يبرأ من مرضه فسبحان الذي خصها بالتشريف والتكريم وجعل لها المهابة والتعظيم"[61].

كان ابن بطوطة في هذا التوصيف البديع منبهرا مشدوها مشدودا إلى هذا الفضاء المقدس فذكر محيطه شبرا شبرا وذراعا ذراعا بالتدقيق، وذكر أسماء ما يحيط به اسما اسما، وعدد أعاجيب هذا البيت المطهر الذي خصه الله بالتشريف والتكريم والتعظيم.

7- المسجد الحرام: يقول ابن بطوطة واصفا المسجد: "هو متسع الساحة، طوله من شرق إلى غرب أزيد من أربعمائة ذراع، حكى ذلك الأزرقي، وعرضه يقرب من ذلك، والكعبة العظمى في وسطه، ومنظره بديع ومرآه جميل، لا يتعاطى اللسان وصف بدائعه، ولا يحيط الواصف بحسن كماله. وارتفاع حيطانه نحو عشرين ذراعاً؛ وسقفه على أعمدة طوال مصطفة ثلاثة صفوف، بأتقن صناعة وأجملها، وقد انتظمت بلاطاته الثلاثة انتظاماً عجيباً كأنها بلاط واحد وعدد سواريه الرخامية أربعمائة وإحدى وتسعون سارية ما عدا الجصية التي في دار الندرة المزيدة في الحرم، وهي داخلة في البلاط الآخذ في الشمال. ويقابلها المقام مع الركن العراقي وفضاؤها متصل يدخل من هذا البلاط إليه، ويتصل بجدار هذا البلاط مساطب تحت قسي " حنايا " يجلس بها المقرئون والنساخون والخياطون، وفي جدار البلاط الذي يقابله مساطب تماثلها، وسائر البلاطات تحت جدرانها مساطب بدون حنايا، وعند باب إبراهيم مدخل من البلاط الغربي فيه سواري جصية، وللخليفة المهدي ابن الخليفة أبي جعفر المنصور رضي الله عنهما آثار كريمة في توسيع المسجد الحرام وإحكام بنائه، وفي أعلى جدار البلاط الغربي مكتوب أمر عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين أصلحه الله بتوسعة المسجد الحرام لحجاج بيت الله وعمارته في سنة سبع وستين ومائة"[62].

لقد وصف ابن بطوطة فأحسن الوصف وكأنه مهندس معماري أو عالم آثار يحسب حسابا دقيقا من الداخل ومن الخارج ويسمي كل شيء باسمه لا تغيب عنه لا شاردة ولا واردة إلا ولامسها وفصل في دقائقها وحقائقها حتى الكتابة المدونة في أعلى الجدار وذكرها، فبرغم طول المدة ما بين زمن تدوين الرحلة وزمن زيارته للحج إلا أنه لم ينس ذلك، وظل حافظا لها فهو يتمتع بذاكرة قوية وحافظة لا تنسى.

8- الحجر الأسود: هذا المكان هو من الفضاءات المقدسة عند المسلمين، فعرف ابن بطوطة قيمته ووصفه وصفا بديعا يشد القاريء ويدفع السامع لزيارته، يقول واصفا له: "وأما الحجر الأسود فارتفاعه عن الأرض ستة أشبار فالطويل من الناس يتطامن لتقبيله، والصغير يتطاول إليه وهو ملصق في الركن الذي إلى جهة المشرق وسعته ثلثا شبر وطوله شبر وعقد، ولا يعلم قدر ما دخل منه في الركن وفيه أربع قطع ملصقة ويقال: إن القرمطي لعنه الله كسره، وقيل: إن الذي كسره سواه ضربه بدبوس فكسره، وتبادر الناس إلى قتله، وقتل بسببه جماعة من المغاربة، وجوانب الحجر مشدودة بصفيحة من فضة يلوح بياضها على سواد الحجر الكريم، فتنجلي منه العيون حسناً باهراً ولتقبيله لذة يتنعم بها الفم، ويود لاثمه أن لا يفارق لثمه، خاصية مودعة فيه، وعناية ربانية به وكفى قول النبي صلى الله عليه وسلم: **"إنه يمين الله في أرضه"** ، نفعنا الله باستلامه ومصافحته، وأوفد عليه كل شيق إليه. وفي القطعة الصحيحة من الحجر الأسود مما يلي جانبه الموالي ليمين مستلمه نقطة بيضاء صغيرة مشرقة كأنها خال في تلك الصحيفة البهية وترى الناس إذا طافوا بها يتساقط بعضهم على بعض ازدحاماً على تقبيله فقلما يتمكن أحد من ذلك إلا بعد المزاحمة الشديدة، وكذلك يصنعون عند دخول الحرم، ومن عند الحجر الأسود ابتداء الطواف وهو أول الأركان التي يلقاها الطائف، فإذا استلمه تقهقر عنه قليلاً وجعل الكعبة الشريفة عن يساره ومضى في طوافه، ثم يلقى بعده الركن العراقي وهو إلى جهة

الشمال، ثم يلقى الركن الشامي وهو إلى جهة الغرب، ثم يلقى الركن اليماني وهو إلى جهة الجنوب، ثم يعود إلى الحجر الأسود وهو إلى جهة الشرق"[63].

تخضع معطيات رحلة ابن بطوطة ومادتها إلى ما يرمي إليه مؤلفها تحقيقه وعرضه للمتلقي عن طريق أساليب التعبير الرئيسية من سرد ووصف ونقل للأقوال، ويعد الوصف من الدعائم الأساسية في الخطاب الرحلي إذ يقوم الرحالة بنقل المشاهدات والتعريف بالمواضع المزورة والمسارات المجتازة أثاء سفره، وتحديد مظاهر الأماكن الجغرافية والتاريخية والحضارية والثقافية والعمرانية والدينية وتعداد المرافق التي تتوفر عليها، ومثل هذا لا يقوم به سوى رحالة من النخبة المثقفة تجيد التأليف والتعبير وتحسن الفهم والاستيعاب وتوفق في نقل المشاهد والمشاعر نقلا أمينا مثل ابن بطوطة.

9- زمزم: يصف ابن بطوطة مكان ماء زمزم فيقول: "قبة بئر زمزم تقابل الحجر الأسود وبينهما أربع وعشرون خطوة والمقام الشريف عن يمين القبة، ومن ركنها إليه عشر خُطاً، وداخل القبة مفروش بالرخام الأبيض، وتنور البئر المباركة في وسط القبة، مائلاً إلى الجدار المقابل للكعبة الشريفة، وهو من الرخام البديع الإلصاق مفروغ بالرصاص، ودوره أربعون شبراً، وارتفاعه أربعة أشبار ونصف شبر، وعمق البئر إحدى عشرة قامة، وهم يذكرون أن ماءها يتزايد في كل ليلة جمعة، وباب القبة إلى جهة الشرق وقد استدارت بداخل سقاية سعتها شبر، وعمقها مثل ذلك، وارتفاعها عن الأرض نحو خمسة أشبار، تملأ ماءً للوضوء، وحولها مسطبة يقعد الناس عليها للوضوء ويلي قبة زمزم قبة الشراب المنسوبة إلى العباس رضي الله عنه، وبابها إلى جهة الشمال، وهي الآن يجعل بها ماء زمزم في قلال يسمونها الدوارق، وكل دورق له مقبض واحد وتترك بها ليبرد فيها الماء، فيشربه الناس وبها اختزان المصاحف الشريفة، والكتب التي للحرم الشريف وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع، فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه، منتسخ سنة ثماني عشرة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً، وأهل مكة إذا أصابهم قحط أو شدة أخرجوا هذا المصحف الشريف وفتحوا باب الكعبة ووضعوه على العتبة الشريفة، ووضعوه في مقام إبراهيم عليه السلام، واجتمع الناس كاشفين رؤوسهم داعين متضرعين متوسلين بالمصحف العزيز والمقام الشريف، فلا ينفصلون إلا وقد تداركهم الله برحمته وتغمدهم بلطفه..."[64].

يتمتع ابن بطوطة في هذا الوصف وغيره بدقة الملاحظة وسرعة التأثر ونضج التفكير وصحة المأخذ وإيصال المشاهدات العينية بمصداقية تتطابق مع ما ذكره الرحالون من بعده، ومع ما توصلت إليه الجغرافيا والتاريخ في زماننا الراهن، ومما يستحق التنويه والإشارة إليه هو صحة المرويات المسموعة والمقروءة التي نقلها إلينا ابن بطوطة بأمانة وموضوعية.

10- الصفا والمروة: هذا المكان واحد من أركان الحج التي لا يصح الحج إلا بالقيام بها مع أركان أخرى ولما وصله ابن بطوطة وصفه كعادته في وصف الكعبة وبيت المقدس وطيبة والمسجد النبوي والمسجد الحرام وكل ما وصف أجاد وأفاد، يقول في وصف هذا الفضاء المقدس: " ومن باب الصفا الذي هو من أبواب المسجد الحرام إلى الصفا ست وسبعون خطوة، وسعة الصفا سبع عشرة خطوة، وله أربع عشرة درجة عليهن كأنها مسطبة، وبين الصفا والمروة أربعمائة وثلاث وتسعون خطوة، منها من الصفا إلى الميل الأخضر ثلاث وتسعون خطوة، ومن الميل الأخضر إلى الميلين الأخضرين خمس وسبعون خطوة، ومن الميلين الأخضرين إلى المروة ثلاثمائة وخمس وعشرون خطوة، وللمروة خمس درجات، وهي ذات قوس واحد كبير، وسعة المروة سبع عشرة خطوة. والميل الأخضر هو سارية خضراء مثبتة مع ركن الصومعة التي على الركن الشرقي من الحرم عن يسار الساعي إلى المروة، والميلان

الأخضران هما ساريتان خضراوان إزاء باب عليّ من أبواب الحرم، أحدهما في جدار الحرم عن يسار الخارج من الباب والأخرى تقابلها، وبين الميل الأخضر والميلين الأخضرين يكون الرمل ذاهباً وعائداً، وبين الصفا والمروة مسيل فيه سوق عظيمة، يباع فيها الحبوب واللحم والتمر والسمن وسواها من الفواكه. والساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لازدحام الناس على حوانيت الباعة، وليس بمكة سوق منتظمة سوى هذه إلا البزازون[65] والعطارون عند باب شيبة وبين الصفا والمروة دار العباس رضي الله عنه"[66].

إضافة إلى هذه الفضاءات المقدسة اكتفينا بذكر بعض منها وإن كان ابن بطوطة زار عدة مزارات وأماكن تندرج في خانة الفضاء المقدس مثل الميزاب المبارك المنبر الكريم الذي كان يخطب عليه رسول الله والحجر والمطاف والجبانة المباركة وغار حراء وجبل ثبير وقبور الأنبياء والعلماء والصالحين والفضلاء وديار الصحابة رضوان الله عليهم وآثار الرسول صلى الله عليه وسلم والمساجد وأبوابها وزخارفها والزوايا ونشأتها والأوقاف التابعة لها، وما بها من طعام للصّادر والوَارِد.

ثانياً – ابن بطوطة وتوصيف الزمان الإسلامي المقدس: ذكرنا في البداية أن الفضاء نقصد به هاهنا المعنى الواسع المتمثل في المكان والزمان، ولا نقصد بالزمن صيغ الماضي والحاضر والمستقبل كما في النحو العربي والنقد الروائي، بل المناسبات الدينية التي لها علاقة بمشاعر المسلمين ودينهم، لذلك أسميناه بالفضاء الزمني الإسلامي المقدس، كنا قد تحدثنا عن توصيف الفضاء المكاني الإسلامي المقدس في رحلة ابن بطوطة، وآن الأوان الحديث عن توصيف الزمان الإسلامي المقدس في نفس الرحلة أي رحلة ابن بطوطة، ومن الأزمنة الإسلامية التي تحدث عنها ابن بطوطة نذكر على سبيل المثال ما يلي:

1– صلاة الجمعة: يقول ابن بطوطة هذا اليوم المبارك المقدس عند المسلمين فهو عيدهم الأسبوعي، وذكر ما يقوم به أهل مكة في هذا اليوم الأجلّ: "وعادتهم في يوم الجمعة أن يلصق المنبر المبارك إلى صفح الكعبة الشريفة، فيما بين الحجر الأسود والركن العراقي، ويكون الخطيب مستقبلاً المقام الكريم. فإذا خرج الخطيب، أقبل لابساً ثوب سواد معتماً بعمامة سوداء وعليه طيلسان أسود. كل ذلك من كسوة الملك الناصر. وعليه الوقار والسكينة، وهو يتهادى بين رايتين سوداوين، يمسكهما رجلان من المؤذنين، وبين يديه أحد القومة في يده الفرقعة وهي عود في طرفه جلد رقيق مفتول ينفضه في الهواء فيسمع له صوت عال يسمعه من بداخل الحرم وخارجه فيكون إعلاماً بخروج الخطيب. ولا يزال كذلك إلى أن يقرب من المنبر فيقبل الحجر الأسود ويدعو عنده ثم يقصد المنبر والمؤذن الزمزمي وهو رئيس المؤذنين بين يديه، لابساً السواد وعلى عاتقه السيف ممسكاً له بيده، وتركز الرايتان عن جانبي المنبر. فإذا صعد أول درج من درج المنبر قلده المؤذن السيف، فيضرب بنصل السيف ضربة في الدرج يسمع بها الحاضرين، ثم يضرب في الدرج الثاني ضربة، ثم في الثالث أخرى. فإذا استوى في عليا الدرجات ضرب ضربة رابعة، ووقف داعياً بدعاء خفي، مستقبلا الكعبة. ثم يقبل على الناس فيسلم عن يمينه وشماله ويرد عليه الناس ثم يقعد. ويؤذن المؤذنون في أعلى قبة زمزم في حين واحد فإذا فرغ الأذان، خطب الخطيب خطبة يكثر بها من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول في أثنائها: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ما طاف بهذا البيت طائف، ويشير بأصبعه إلى البيت الكريم: اللهم صل على محمد وآل محمد ما وقف بعرفة واقف. ويترضى عن الخلفاء الأربعة وعن سائر الصحابة وعن النبي صلى الله عليه وسلم وسبطيه وأمهما وخديجة جدتهما على جميعهم السلام ثم يدعو للملك الناصر، ثم للسلطان المجاهد نور الدين علي ابن الملك المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف بن علي بن رسول، ثم للسيدين الشريفين الحسنيين أميري مكة. سيف الدين عطيفة، وهو أصغر الأخوين، ويقدم اسمه لعدله،

وأسد الدين رميثة، ابني أبي نمي بن أبي سعيد بن علي بن قتادة. وقد دعا لسلطان العراق مرة، ثم قطع ذلك. فلما فرغ من خطبته وانصرف، والرايتان عن يمينه وشماله والفرقعة أمامه إشعاراً بانقضاء الصلاة، ثم يعاد المنبر إلى مكانه الكريم"[67].

2- استهلال الشهور: يصف ابن بطوطة عادات أهل البلد الأمين مكة عند حلول أول يوم من الأشهر القمرية وهي رمز الإسلام وحساب المسلمين، يقول: "وعادتهم في ذلك أن يأتي أمير مكة في أول يوم من الشهر، وقواده يحفون به، وهو لابس البياض معتم متقلد سيفاً وعليه السكينة والوقار، فيصلي عند المقام الكبير ركعتين، ثم يقبل الحجر، ويسرع في طواف أسبوع . ورئيس المؤذنين على أعلى قبة زمزم. فعند ما يكمل الأمير شوطاً واحداً. ويقصد الحجر لتقبيله، يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له، والتهنئة بدخول الشهر، رافعاً بذلك صوته، ثم يذكر شعراً في مدحه ومدح سلفه الكريم. ويفعل به هكذا في السبعة أشواط. فإذا فرغ منها ركع عند الملتزم ركعتين، ثم ركع خلف المقام أيضاً ركعتين، ثم انصرف. ومثل هذا سواء يفعل إذا أراد سفراً وإذا قدم من سفر أيضاً"[68].

3- شهر رجب: يصف ابن بطوطة عادات أهل مكة في شهر رجب فيقول: "وإذا هلَّ هلال رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات إشعارا بدخول الشهر، ثم يخرج في أول يوم منه راكباً ومعه أهل مكة فرساناً ورجالاً على ترتيب عجيب وكلهم بالأسلحة، يلعبون بين يديه والفرسان يجولون ويجْرون، والرجال يتواثبون ويرمون بحرابهم إلى الهواء ويلقفونها، والأمير رميثة والأمير عطيفة معهما أولادهما وقوادهما .....وغيرهم من كبار أولاد الحسن ووجوه القواد. وبين أيديهم الرايات والطبول والدبادب، وعليهم السكينة والوقار، ويسيرون حتى ينتهوا إلى الميقات، ثم يأخذون في الرجوع على معهود ترتيبهم إلى المسجد الحرام، فيطوف الأمير بالبيت، والمؤذن الزمزمي بأعلى قبة زمزم يدعو له عند كل شوط.....، فإذا طاف صلى ركعتين عند الملتزم، وصلى عند المقام وتمسح به، وخرج إلى المسعى فسعى راكباً والقواد يحفون به، والحرابة بين يديه، ثم يسير إلى منزله، وهذا اليوم عندهم عيد من الأعياد يلبسون فيه أحسن الثياب ويتنافسون في ذلك"[69].

4- عمرة رجب: يقول ابن بطوطة: "وأهل مكة يحتفلون لعمرة رجب الاحتفال الذي لا يعهد مثله، وهي متصلة ليلاً نهاراً. وأوقات الشهر كله معمورة بالعبادة، وخصوصاً أول يوم منه، ويوم خمسة عشر، والسابع والعشرين. فإنهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام. شاهدتهم في ليلة السابع والعشرين منه، وشوارع مكة قد غصت بالهوادج عليها كساء الحرير والكتان الرفيع، كل واحد يفعل بقدر استطاعته، والجمال مزينة مقلدة بقلائد الحرير، وأستار الهوادج ضافية تكاد تمس الأرض فهي كالقباب المضروبة. ويخرجون إلى ميقات التنعيم فتسيل أباطح مكة بتلك الهوادج، والنيران مشعلة بجانبي الطريق، والشمع والمشاعل أمام الهوادج، والجبال تجيب بصداها إهلال المهللين، فترق النفوس وتنهمل الدموع، فإذا قضوا العمرة وطافوا بالبيت خرجوا إلى السعي بين الصفا والمروة بعد مضي شيء من الليل، والمسعى متقد السرج غاصٌّ بالناس، والساعيات على هوادجهن، والمسجد الحرام يتلألأ نوراً. وهم يسمون هذه العمرة بالعمرة الأكَمية، لأنهم يحرمون بها من أكمة مسجد عائشة رضي الله عنها بمقدار غلوةٍ، على مقربة من المسجد المنسوب إلى علي رضي الله عنه. والأصل في هذه العمرة أن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لما فرغ من بناء الكعبة المقدسة خرج ماشياً حافياً معتمراً، ومعه أهل مكة وذلك في اليوم السابع والعشرين من رجب، وانتهى إلى الأكمة فأحرم منها، وجعل طريقه على ثنية الحجون إلى المعلى، من حيث دخل المسلمون يوم الفتح، فبقيت تلك العمرة سنة عند أهل مكة إلى هذا العهد، وكان عهد عبد الله مذكوراً أهدى فيه بدناً كبيرة، وأهدى أشراف مكة وأهل الاستطاعة منهم وأقاموا أياماً يطعمون

ويطعمون شكراً لله على ما وهبهم من التيسير والمعونة في بناء بيته الكريم، على الصفة التي كانت عليها في أيام الخليل صلوات الله عليه. ثم لما قتل ابن الزبير نقض الحجاج الكعبة، وردها إلى بنائها في عهد قريش وكانوا قد اقتصروا في بنائها، وأبقاها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، لحدثان عهدهم بالكفر. ثم أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يعيدها إلى بناء ابن الزبير، فنهاه مالك رحمه الله عن ذلك، وقال: يا أمير المؤمنين، لا تجعل البيت ملعبة للملوك، متى أراد أحدهم أن يغير فعل، فتركه على حاله سداً للذريعة وأهل البلاد الموالية لمكة، مثل بجيله وزهران وغامد، يبادرون لحضور عمرة رجب ويجلبون إلى مكة الحبوب والسمن والعسل والزبيب والزيت واللوز، فترخص الأسعار بمكة ويرغد عيش أهلها وتعمم المرافق، ولولا أهل هذه البلاد لكان أهل مكة في شظف من العيش. ويذكر أنهم متى أقاموا ببلادهم، ولم يأتوا بهذه الميرة[70] أجدبت بلادهم ووقع الموت في مواشيهم. ومتى أوصلوا الميرة أخصبت بلادهم وظهرت فيها البركة ونمت أموالهم. فهم إذا حان وقت ميرتهم وأدركهم كسل عنها، اجتمعت نساؤهم فأخرجنهم. وهذا من لطائف صنع الله تعالى وعنايته ببلده الأمين وبلاد السرو التي يسكنها بجيلة وزهران وغامد وسواهم من القبائل مخصبة كثيرة الأعناب وافرة الغلات، وأهلها فصحاء الألسن لهم صدق نية وحسن اعتقاد وهم إذا طافوا بالكعبة يتطارحون عليها لائذين بجوارها متعلقين بأستارها داعين بأدعية يتصدع لرقتها القلوب، وتدمع العيون الجامدة، فترى الناس حولهم باسطي أيديهم مؤمنين على أدعيتهم، ولا يتمكن لغيرهم الطواف معهم ولا استلام الحجر لتزاحمهم على ذلك. وهم شجعان أنجاد ولباسهم الجلود. وإذا وردوا مكة هابت أعراب الطريق مقدمهم وتجنبوا اعتراضهم، ومن صحبهم من الزوار حمد صحبتهم. وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرهم، وأثنى عليهم خيراً وقال: "**علموهم الصلاة يعلموكم الدعاء**". وكفاهم شرفاً دخولهم في عموم قوله صلى الله عليه وسلم "**الإيمان يمان والحكمة يمانية**". وذكر أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يتحرى وقت طوافهم ويدخل في جملتهم تبركاً بدعائهم. وشأنهم عجيب كله، وقد جاء في الأثر: (**زاحموهم في الطواف، فإن الرحمة تنصبّ عليهم صبّاً**)[71].

يذكر ابن بطوطة قداسة هذا الشهر العظيم عند أهل مكة فيحتفلون ويعتمرون ويذكر القصص المأثورة عن الصحابة والتابعين ويستشهد بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويفصل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية لكل من بجيلة وزهران وغامد وذكر قضية العرض والطلب والسعر وعروض التجارة الواردة والصادرة مَن وإلى مكة، فهو بحق رحالة وبحاثة ووصافة ومؤرخ يجيد في رحلته ويفيد.

5- ليلة النصف من شعبان: يقول ابن بطوطة واصفا هذا الزمن عند أهل مكة تعظيما منهم لهذه الليلة المجيدة: "وهذه الليلة من الليالي المعظمة عند أهل مكة، يبادرون فيها إلى أعمال البر من الطواف والصلاة جماعات وأفذاذاً والاعتمار. ويجتمعون في المسجد الحرام جماعة، لكل جماعة إمام. ويوقدون السرج والمصابيح والمشاعل. ويقابل ذلك ضوء القمر فتتلألأ الأرض والسماء نوراً ويصلون مائة ركعة، يقرؤون في كل ركعة بأم القرآن وسورة الإخلاص، يكررونها عشراً وبعض الناس يصلون في الحجر منفردين، وبعضهم يطوفون بالبيت الشريف، وبعضهم قد خرجوا للاعتمار"[72].

6- شهر رمضان المعظم: يذكر ابن بطوطة قداسة هذا الشهر عند المسلمين وخاصة عند أهل مكة فيقول: "وإذا أهلَّ هلال رمضان تضرب الطبول والدبادب عند أمير مكة. ويقع الاحتفال بالمسجد الحرام، من تجديد الحصر، وتكثير الشمع والمشاعل، حتى يتلألأ الحرم نوراً، ويسطع بهجة وإشراقاً. وتتفرق الأئمة فرقاً. وهم الشافعية والحنبلية والحنفية والزيدية، وأما المالكية

فيجتمعون على أربعة من القراء، يتناوبون القراءة ويوقدون الشمع ولا تبقى في الحرم زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارئ يصلي بجماعة، فيرتج المسجد لأصوات القراء، وترق النفوس وتحضر القلوب وتهمل الأعين. ومن الناس من يقتصر على الطواف والصلاة في الحجر منفرداً. والشافعية أكثر الأئمة اجتهاداً، وعاداتهم أنهم إذا أكملوا التراويح المعتادة، وهي عشرون ركعة، يطوف إمامهم وجماعته. فإذا فرغ من الأسبوع ضربت الفرقعة التي ذكرنا أنها تكون بين يدي الخطيب يوم الجمعة، كان ذلك إعلاماً بالعودة إلى الصلاة. ثم يصلي ركعتين، ثم يطوف أسبوعاً هكذا إلى أن يتم عشرين ركعة أخرى. ثم يصلون الشفع والوتر، وينصرفون. وسائر الأئمة لا يزيدون على العادة شيئاً. وإذا كان وقت السحور يتولى المؤذن الزمزمي التسحير في الصومعة التي بالركن الشرقي من الحرم، فيقوم داعياً ومذكراً ومحرضاً على السحور، وهكذا يفعلون في سائر الصوامع. فإذا تكلم أحد منهم أجابه صاحبه، وقد نصبت في أعلى كل صومعة خشبة على رأسها عود معترض، قد علق فيه قنديلان من الزجاج كبيران يوقدان، فإذا قرب الفجر وقع الإيذان بالقطع مرة بعد مرة، وحط القنديلان، وابتدأ المؤذنون بالأذان. وأجاب بعضهم بعضاً. ولديار مكة شرفها الله سطوح. فمن بعدت داره بحيث لا يسمع الأذان يبصر القنديلين المذكورين فيتسحر. حتى إذا لم يبصرها أقلع عن الأكل. وفي ليلة وتر من ليالي العشر الأواخر من رمضان يختمون القرآن ويحضر الختم القاضي والفقهاء والكبراء. ويكون الذي يختم بها أحد أبناء كبراء أهل مكة. فإذا ختم، نصب له منبر مزين بالحرير، وأوقد الشمع، وخطب. فإذا فرغ من خطبته استدعى أبوه الناس إلى منزله فأطعمهم الأطعمة الكثيرة والحلاوات وكذلك يصنعون في جميع ليالي الوتر. واعظم من تلك الليالي عندهم ليلة سبع وعشرين. واحتفالهم لها أعظم من احتفالهم لسائر الليالي. ويختم بها القرآن العظيم خلف المقام الكريم. وتقام إزاء حطيم الشافعية خشب عظام، توصل بالحطيم، وتعرض بينها ألواح طوال، وتجعل ثلاث طبقات، وعليها الشمع وقنديل الزجاج، فيكاد يغشى الأبصار شعاع الأنوار، ويتقدم الإمام، فيصلي فريضة العشاء الآخرة، ثم يبتدئ قراءة سورة القدر. وإليها يكون انتهاء قراءة الأئمة في الليلة التي قبلها وفي تلك الساعة يمسك جميع الأئمة عن التراويح تعظيماً لختمة المقام، ويحضرونها متبركين، فيختم الإمام في تسليمتين، ثم يقوم خطيباً مستقبل المقام، فإذا فرغ من ذلك عاد الأئمة إلى صلاتهم، وانفض الجميع. ثم يكون الختم ليلة تسع وعشرين في المقام المالكي في منظر مختصر وعن المباهاة منزه موقر فيختم ويخطب"[73].

7- شهر شوال: ذكر ابن بطوطة عادات أهل المدينة في الشهر فيقول: "وهو مفتتح أشهر الحج المعلومات، أن يوقدوا المشاعل ليلة استهلاله، ويسرجون المصابيح والشمع، على نحو فعلهم في ليلة سبع وعشرين من رمضان. وتوقد السرج في الصوامع من جميع جهاتها، ويوقد سطح الحرم كله وسطح المسجد الذي بأعلى أبي قبيس، ويقيم المؤذنون ليلتهم تلك في تهليل وتكبير وتسبيح، والناس ما بين طواف وصلاة وذكر ودعاء فإذا صلوا صلاة الصبح أخذوا في أهبة العيد، ولبسوا أحسن ثيابهم، وبادروا لأخذ مجالسهم بالحرم الشريف، به يصلون صلاة العيد، لأنه لا موضع أفضل منه. ويكون أول من يبكر إلى المسجد الشيبيون فيفتحون باب الكعبة المقدسة، ويقعد كبيرهم في عتبتها، وسائرهم بين يديه، إلى أن يأتي أمير مكة فيتلقونه، ويطوف بالبيت أسبوعاً، والمؤذن الزمزمي فوق سطح قبة زمزم على العادة، رافعاً صوته بالثناء عليه والدعاء له ولأخيه كما ذكر، ثم يأتي الخطيب بين الرايتين السوداوين، والفرقعة أمامه، وهو لابس السواد، فيصلي خلف المقام الكريم، ثم يصعد المنبر ويخطب خطبة بليغة. ثم إذا فرغ منها أقبل الناس بعضهم على بعض بالسلام والمصافحة والاستغفار، ويقصدون الكعبة الشريفة فيدخلونها أفواجاً، ثم يخرجون إلى مقبرة باب المعلى، تبركاً بمن فيها من الصحابة وصدور السلف ثم ينصرفون.

8- شعيرة الحج: يقول ابن بطوطة واصفا حرمة أيام الحج والمناسك التي يقوم بها المسلمون: "وإذا كان في أول يوم شهر ذي الحجة، تضرب الطبول والدبادب في أوقات الصلوات بكرة وعشية، إشعارها بالموسم المبارك. ولا تزال كذلك إلى يوم الصعود إلى عرفات. فإذا كان اليوم السابع من ذي الحجة خطب الخطيب إثر صلاة الظهر خطبة بليغة، يعلم الناس فيها مناسكهم، ويعلمهم بيوم الوقفة، فإذا كان اليوم الثاني بكر الناس بالصعود إلى منى. وأمراء مصر والشام والعراق وأهل العلم يبتيون تلك الليلة بمنى وتقع المباهاة والمفاخرة بين أهل مصر والشام والعراق في إيقاد الشمع. ولكن الفضل في ذلك لأهل الشام دائماً. فإذا كان اليوم التاسع رحلوا من منى بعد صلاة الصبح إلى عرفة. فيمرون في طريقهم بوادي محسر، ويهرولون، وذلك سنة. ووادي محسر هو الحد ما بين مزدلفة ومنى، ومزدلفة بسيط من الأرض فسيح بين جبلين، وحولها مصانع وصهاريج للماء، مما بنته زبيدة ابنة جعفر بن أبي جعفر المنصور زوجة أمير المؤمنين هارون الرشيد. وبين منى وعرفة خمسة أميال، وكذلك بين منى ومكة أيضاً خمسة أميال. ولعرفة ثلاثة أسماء وهي، عرفة وجمع والمشعر الحرام، وعرفات بسيط من الأرض فسيح أفيح، تحدق به جبال كثيرة. وفي آخر بسيط عرفات جبل الرحمة، وفيه الموقف، وفيما حوله، والعلمان قبله بنحو ميل، وهما الحد ما بين الحل والحرم. وبمقربة منهما مما يلي عرفة بطن عرنة الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالارتفاع عنه، ويجب التحفظ منه، ويجب أيضاً الإمساك عن النفور حتى يتمكن سقوط الشمس. فإن الجمالين ربما استحثوا كثيراً من الناس، وحذروهم الزحام في النفر، واستدرجوهم إلى أن يصلوا بهم بطن عرنة، فيبطل حجهم. وجبل الرحمة الذي ذكرناه قائم وسط بسيط جمع منقطع عن الجبال، وهو من حجارة منقطع بعضها عن بعض. وفي أعلاه قبة تنسب إلى أم سلمة رضي الله عنهما، وفي وسطها مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه، وحوله سطح فسيح يشرف على بسيط عرفات، وفي قبليه جدار فيه محاريب منصوبة يصلي فيه الناس، وفي أسفل هذا الجبل عن يسار المستقبل للكعبة دار عتيقة البناء تنسب إلى آدم عليه السلام، وعن يسارها الصخرات التي كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندها، وحول ذلك صهاريج وجبات للماء، وبمقربة منه الموضع الذي يقف في الإمام ويخطب ويجمع بين الظهر والعصر، وعن يسار العلمين للمستقبل أيضاً وادي الأراك وبه أراك اخضر يمتد في الأرض امتداداً طويلاً، وإذا حان وقت النفر أشار الإمام المالكي بيده، ونزل عن موقفه، فدفع الناس بالنفر دفعة ترتج لها الأرض، وترجف الجبال. فياله موقفاً كريماً ومشهداً عظيماً ترجو النفوس حسن عقباه، وتطمح الآمال إلى نفحات رحماه، وجعلنا الله ممن خصه فيه برضاه. وكانت وقفتي الأولى يوم الخميس سنة ست وعشرين، وأمير الركب المصري يومئذ أرغون الدوادار نائب الملك الناصر. وحجت في تلك السنة ابنة الملك الناصر وهي زوجة أبي بكر ابن أرغون المذكور.وحجت فيها زوجة الملك الناصر والمسماة بالخونده، وهي بنت السلطان المعظم محمد أوزبك ملك السرا وخوارزم، وأمير الركب الشامي سيف الدين الجوبان. ولما وقع النفر بعد غروب الشمس، وصلنا مزدلفة عند العشاء الآخرة، فصلينا بها المغرب والعشاء جمعاً بينهما حسبما جرت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما صلينا الصبح بمزدلفة غدونا منها إلى منى بعد الوقوف والدعاء بالمشعر الحرام. ومزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر، ففيه تقع الهرولة حتى يخرج عنه. ومن مزدلفة يستصحب أكثر الناس حصيات الجمار، وذلك مستحب. ومنهم من يلقطها حول مسجد الخيف. والأمر في ذلك واسع. ولما انتهى الناس إلى منى بادروا لرمي جمرة العقبة، ثم نحروا وذبحوا، ثم حلقوا وحلوا من كل شيء إلا النساء والطيب حتى يطوفوا طواف الإفاضة ورمي هذه الجمرة عند طلوع الشمس من يوم النحر. لما رموها توجه أكثر الناس بعد أن ذبحوا وحلقوا إلى طواف الإفاضة. ومنهم من أقام إلى اليوم الثاني. وفي اليوم الثاني رمى الناس عند زوال الشمس بالجمرة الأولى سبع حصيات، وبالوسطى كذلك، ووقفوا للدعاء بهاتين

الجمرتين اقتداء بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما كان اليوم الثالث تعجل الناس الانحدار إلى مكة شرفها الله، بعد أن كمل لهم رمي تسع وأربعين حصاة. وكثير منهم أقام اليوم الثالث بعد يوم النحر حتى رمى سبعين حصاة[74].

تُشَكّل رحلة ابن بطوطة وثيقة حَضارية ثقافية ربَطت بيْن الشّرق والمغرب خلال تلك الفترة التاريخية الهامة من حياة المسلمين، من خلال تَنقّلات الرّحالة في كتابِه بين عوالمَ عاش فيها، وانْدمج مع سكّانها وتأثّر بهم وذكر عاداتهم، وبذلك سَجّل الرّحالة كلَّ الدّقائق التي عرَفها في كتابه مِمّا يتصل بأبحاثِ التاريخ من سياسة واجْتماع واقْتصاد وثقافة وحروب ونُظم الحُكم والإدارة والقَضاء والتجارة والبيع والشراء، ونقلها إلى مجتمعه ليربط بين شعوب وحضارات وثقافات في لحظات مختلفة وفي ظروف متمايزة. كما أنّه سينقل ثقافته ومجتمعه وحضارته إلى كل البلاد التي أقام بها ورحل إليها، مبينا أوجه التقارب والإختلاف، ومُعْتزا بانتمائه إلى بلده، وبقدرته على ربط جسر التفاعل والتلاقح بين الثقافات في المشرق والمغرب. وعاش قضية حوار الثقافات قبل أوانها.

فابن بطوطة، باعتباره عَارفًا بأمور حضارته ومُنفتحًا على حضارات الآخرين، قد اتّخذ من الحضارة العربية الإسلامية بكل تَجلياتها معيارا يقيس عليه ويعقد به المقارنات، مفتخرا بانتمائه الإسلامي ومدافعا عنه واعتمد أسلوب التوصيف أي الوصف المرَكّز الدقيق وهو كما يقول حنّا الفاخوري: " تمثيل الأشياء تمثيلا إيجابيّا" وهو ما نجح فيه ابن بطوطة فعلا.

والوصف هو رسم لصورة الأشياء بقلم الفنّ والحياة، فوصف المكان والزمان في الخطاب الرحلي هو وسيلة تعبيرية تتخذ من الشخوص والأمكنة والأشياء والحالات و المواقف موضوعا لها, وبهذا يمكن التمييز بين نصوص تصف الشخوص، ونصوص تصف الأمكنة والأشياء، وأخرى تصف الحالات الاجتماعية والنفسية، وما يترتب عليها من مواقف.

وبورقتنا البحثية هذه نكون قد عرفنا ولو شيئا قليلا عن رحلة ابن بطوطة الطويلة جدا إلى القارات الثلاثة، وتعرفنا إلى الفضاءات الإسلامية المقدسة لدى المسلمين المكانية والزمانية والتي لها آصرة وصلة وثيقة بالذات الإسلامية بأسلوب الوصف الركيزة والدعامة التي اعتمدها ابن بطوطة في سرده للوقائع وذكره للمواضع وتعداده لمختلف الصنائع والطبائع معتمدا الأمانة والصدق والموضوعية والبسط المفصل الدقيق حتى اكتملت له رحلته واستوت على ساقها وانتشرت في مختلف الأماكن والبقاع وعلا ذكره في الآفاق فلا تذكر الرحلة إلا ويذكر ابن بطوطة. وهذه الدراسة المتواضعة ما هي في الحقيقة سوى إضاءة للبحوث المستقبلية لمن يريد الخوض في مشروع وموضوع الأدب الرحلي بعامة والأدب الرحلي المغربي على وجه الخصوص.

الهوامش:

[1]- عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية (زقاق المدق)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط1، 1995م، ص 24.

[2]- ابن منظور(محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، دت، ج11، ص265، مادة (رح ل).

[3]- ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م، ص 560.

4 - الجوهرة بنت عبد الرحمن المنيع، الرحلات العربية مصدر من مصادر التاريخ، مكتبة الملك فهد للنشر، الرياض، 1431هـ- 2010م، ص:30.

[5]- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية، 1984، ص. 121.

[6] - حسني محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت لبنان، ط2، 1403هـ/1983م، ص6.

[7] - قريش: 1 و 2.

[8] - الملك: 15.

[9] - مسند أحمد: طبعة دار الفكر، الحديث رقم 8954، والسنن الكبرى للبيهقي: 102/7.

[10] - ديوان الإمام الشافعي، عناية عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط3، 1426هـ-2005م، ص49.

[11]- ينظر: أنساعد سميرة: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري: دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص ص15-20.

[12] - زيادة نيقولا، الجغرافيا والرحلات عند العرب، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط:3، 1986م، ص:15.

[13]- عبد الرحمن بن خدون: المقدمة، تحقيق وتعليق عبد السلام الشدادي، خزانة ابن خلدون، بيت الفنون والعلوم والاداب، طبعة خاصة، ج3، دط، دت، ص226.

[14]- إنجيل بطرس: "الرحلات في الأدب الإنجليزي"، مجلة الهلال، عدد7، السنة 83، يوليو 1975، ص52.

[15] -أنساعد سميرة: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري: دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدي، عين مليلة، الجزائر، دط، 2009م، ص31.

[16]- إميل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني: قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية :عربي-إنكليزي-فرنسي ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة 1، 1997، ص 25.

[17] للاستزادة أكثر حول هذا المبحث يراجع كلا من: أحمد بن على بن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1972، ج5، ص227، وأيضا: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، تحقيق محمد عبد الرحيم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، دت، ص04، ويراجع: فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة، ج1، 1970، ص479، وشوقي ضيف: الرحلات، دار المعارف، القاهرة، ط4، دت، ص95، وحسني حسين محمود: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ/1983م، ص 35، عبد الله كنون : ذكريات مشاهير رجال المغرب ابن بطوطة ، منشورات الايسسكو، الرباط، المغرب،1996، ص9.....الخ

[18]- أحمد بن على بن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1972، ج5، ص227.

[19]- قبيلة مغربية من قبائل زناتة تقع أماكنها الأصلية في برقة من أرض طرابلس الغرب وأهلها خليط من العرب والبربر تنقّل قسم منهم إلى جهات من المغرب، ونبغ منهم الكثير من الفقهاء والأعلام كأسرة بني سمجون وابن القابسي شيخ القاضي عياض وغيرهم . وقد ورد في مخطوطة خطها ابن بطوطة بنفسه في دمشق وينسب نفسه فيها إلى قبيلة جراوة وليس لواتة، وأيا كان نسبه فالقبيلتان ترجعان إلى زناتة التي انضوت تحت لوائها أكبر القبائل المغربية المشهورة. ينظر: عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1992، ج7، ص10 ؛ وينظر أيضا: عبد الله كنون : ذكريات مشاهير رجال المغرب ابن بطوطة ، منشورات الإيسيسكو، الرباط، المغرب،1996، ص9.

[20]- طنجة بلدة من بلدان الشمال الإفريقي الواقعة على ساحل بحر المغرب فتحها القائد موسى بن نصير سنة 89هـ/697م وولاها لطارق بن زياد، ينظر: جابر بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب، بيروت، 1978، ص232 .

[21] - ذهب أحد المؤرخين إلى أن معنى بطوطة نسبة إلى جدّة له تحمل كناية بطة على نحو فاطمة وعائشة وهي عادة إفريقية قديمة، ولكن الكلمة في اللغة مشتقة من بطط وتعني الأعاجيب ، ومن الصدف أن هناك توافقاً بين عنوان كتاب الرحلة واسم ابن بطوطة. ينظر: محيي الدين محمد الفيروزآبادي: القاموس المحيط، لبنان، د ت ، باب الطاء والباء.

[22] - رحلة ابن بطوطة: تحقيق محمد عبد الرحيم، ص04.

[23]- ابن حجر العسقلاني: مرجع ذكر من قبل، ج5، ص 227. وابن مرزوق هو محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني وزير في فاس وعالم مشهور بالفقه والأصول، له كتاب (إزالة الحاجب عن شرح ابن الحاجب) .ينظر: خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان، 1979، ج5، ص328 .

[24] – ابن بطوطة: الرحلة، ج1، ص04.

[25] – ابن بطوطة: الرحلة، ج1، ص09.

[26] – رحلة ابن بطوطة، تحقيق محمد عبد الرحيم، ج1، ص ص9-12.

[27] – المصدر نفسه،ج1، ص ص 13-31

[28] – نفسه، ج1، ص24 وما بعدها.

[29] – نفسه،ج1، ص63.

[30] – نفسه، ج1، ص73.

[31] – نفسه، ج1، ص117.

[32] – نفسه، ج1، ص ص 120-140.

[33] – نفسه، ج1، ص140 وما بعدها.

[34] – نفسه، ص142.

[35] – المصدر نفسه، ج1،ص ص 158-193.

[36] – المصدر نفسه، ج2، ص ص 230-233.

[37] – نفسه، ج2، ص322.

[38] – نفسه، ج2، ص351.

[39] – نفسه، ج2، ص327.

[40] – نفسه، ج2، ص352.

[41] – نفسه، ج2، ص356 وما بعدها.

[42] – نفسه، ج2، ص358.

[43] – نفسه، ج2، ص 381.

[44] – ذكر ذلك محقق رحلة ابن بطوطة عبد الهادي التازي في المقدمة: رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في عجائب الأسفار وغرائب الأمصار، تحقيق عبد الهادي التازي، منشورات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، مج1، ص153.

[45] – محمد المنوني: "ابن بطوطة"، مجلة دعوة الحق،السنة19، عدد5، ص ص13- 20.

[46] – حسين مؤنس: ابن بطوطة و رحلاته، دار المعارف، القاهرة، ص239.

[47] – لسان الدين بن الخطيب: نفاضة الجراب في عُلالة الاغتراب، تحقيق أحمد المختار العبادي، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، ص13.

[48] – ابن بطوطة: الرحلة، ج1، ص04.

[49] – الحسن الشاهدي: الرحلة بالمغرب خلال العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، ج1، ط2، ص283 وما بعدها.

[50] – ابن بطوطة: الرحلة، تحقيق محمد عبد الرحيم، ج1، ص 04.

[51] – تناول الحسن الشاهدي موضوع الشك في رحلة ابن بطوطة ودافع عنه بطريقة موضوعية في موضعين:
* الشاهدي، مرجع سابق؛ ص.277. 298. وذكر في مقال بعنوان "الموقف النقدي من ابن بطوطة ورحلته قديما و حديثا" نشره بمجلة المناهل، عدد59، السنة 24، ماي 1999، ص ص446. 468

[52] – ابن بطوطة: الرحلة، تحقيق محمد عبد الرحيم، ج1، ص 33.

[53] – هو الوحدة القياسية الشرعية لقياس المساحات قدره ثماني قبضات، وهي تساوي بالنظام المتري 61,6 سنتيم.

[54] – المصدر نفسه، ج1، ص 34.

[55] – المصدر نفسه، ج1، ص 34.

[56] – المصدر نفسه، ج1، ص 63.

[57] – المصدر نفسه، ج1، ص63 وما بعدها.

[58] – المصدر نفسه، ج1، ص65 وما بعدها.

[59] – المصدر نفسه، ج1، ص73.

[60] – المصدر نفسه، ج1، ص72 وما بعدها.

[61] – المصدر نفسه، ج1، ص74 وما بعدها.

[62] – المصدر نفسه، ج1، ص73 وما بعدها.

[63] – المصدر نفسه، ج1، ص75.

[64] – المصدر نفسه، ج1، ص 76 وما بعدها.

[65] البزازون هم بائعو السلاح والثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوه.

[66] – المصدر نفسه، ج1، ص 78 وما بعدها.

[67] – المصدر نفسه ج1، ص 89.

[68] – المصدر نفسه ج1، ص 90.

[69] – المصدر نفسه، ج1، ص 90.

[70] الميرة هي جلب الطعام للأهل من حب وقوت وغيره.

[71] – المصدر نفسه ج1، ص 90 وما بعدها.

[72] – المصدر نفسه ج1، ص 92.

[73] – المصدر نفسه ج1، ص 92 وما بعدها.

[74] – المصدر نفسه ج1، ص 93 وما بعدها.